جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بابل
كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم التاريخ

معركة صفين سنة ٣٧ هجرية

بحث تقدم به الطالب :

رسول هادي مرزه كجزء من متطلبات نيل درجة البكالوريوس في التاريخ

بأشراف :

أ.د. يوسف كاضم الشمري

1444 هـ

2023 م

بسم الله الرحمن الرحيم

{وقل اعملوا فسيرى الله عملكم

ورسوله والمؤمنون}

صدق الله العظيم

سـورة التوبـة :ايـة ١٠٥

الإهداء ...

إلى :

الذي لا معبود بحق إلا هوه سبحانه وتعالى، عالم الغيب والشهادة.. اخلاصاً وخوفاً ورجاء

إلى :

استاذ العلم والعلماء الأول نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة والتسليم .. محبة وإتباعاً

إلى :

الغائب الموجود المهدي المنتظر(عج)

إلى :

وطني العراق الصبور

إلى :

كل من مد يد العون في مساعدتي

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام

على أشرف الخلق و المرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

يسرني ان أتقدم بوافر الشكر والتقدير إلى أساتذتي في قسم التاريخ وأخص منهم بالذكر:

الدكتور يوسف كاضم

مع تمنياتي له بوافر الصحه وتسديد خطواته

الفهرست

ت	الموضوع	الصفحة
1	الأية	أ
2	الأهداء	ب
3	الشكر والتقدير	ت
4	الفهرست	ث
5	المقدمة	1
6	موقع صفين	2
7	المبحث الأول اسباب المعركة ومقدماتها	3 -10
8	المبحث الثاني وقائع المعركة ونتائجها	**11** – 26
9	الخاتمة	27
10	المصادر	28 - 30

المقدمة

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

اما بعد :

صفين ما بين أعالي العراق وبلاد الشام، تقع تلك البلدة التي خلدها التاريخ ، وخلدت هي تاريخياً ظاهرا في حياة الأمة العربية والخلافة الإسلامية وألوان المذاهب الدينية والسياسية التي ولدتها حرب صفين ، ونشرت أطيافها في ربوع الدولة الإسلامية، تلك الحرب التي استنفدت من تاريخ الدم المهراق مائة يوم وعشرة أيام ، بلغت فيها الوقائع تسعين وقعة فيما يذكر المؤرخون

كانت حرباً ضروسا أوشكت أن تفنى المسلمين وتذهب بمجدهم وتمحو آثارهم ؛ فما كاد المسلمون ينزلون عن خيلهم بعد وقعة الجمل سنة ٣٦ من الهجرة ، حتى اعتلوها مرة أخرى في حرب صفين لخمس مضين من شوال من تلك السنة، ولولا أن تداركتهم عناية الله بصلح حقن من دماء الفريقين ، وحفظ عليهم بقية من أبطالهم وأنجادهم لتغير وجه التاريخ الإسلامي .

موقع صفين

بكسرتين وتشديد الفاء وحالها في الإعراب حال صريفين، وقد ذكرت في هذا الباب أنها تعرب إعراب الجموع وإعراب ما لا ينصرف، وقيل لأبي وائل شقيق بن سلمة أشهدت صفّين؟ فقال: نعم وبئست الصفون: تقع صفين مابين أعالي العراق وبلاد الشام وقعت في منطقة تعرف حالياً بالحدود السورية العراقية على نهر الفرات شرق سوريا وهو موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس، وكانت وقعة صفين بين جيش الخليفة علي بن أبي طالب وجيش معاوية بن أبي سفيان في غرة، شهر صفر سنة 37 هـ بعد موقعة الجمل بسنة تقريبا. واختلف في عدة أصحاب كل واحد من الفريقين، فقيل: كان معاوية في مائة وعشرين ألفا وكان علي في تسعين ألفا، وقيل: كان علي بن ابي طالب في مائة وعشرين ألفا ومعاوية في تسعين ألفا، وهذا أصح وقتل في الحرب بينهما سبعون ألفا، منهم من أصحاب علي بن ابي طالب خمسة وعشرون ألفا ومن اصحاب معاوية خمسة وأربعون ألفا، وقتل مع علي خمسة وعشرون صحابيا بدريًا، وكانت مدة المقام بصفين مائة يوم وعشرة أيام، وكانت الوقائع تسعين وقعة وقد أكثرت الشعراء من وصف صفين (1).

---

(١) ياقوت الحموي ، الشيخ الإمام شهاب الدين ابي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي،(ت ١٢٢٩)، معجم البلدان، ط١، دار صادر بيروت ، (1397_1977م) ، ج٣، ص٤١٤.

المبحث الأول

اسباب المعركة ومقدماتها

١_ اسباب المعركة

٢_ مقدمات قيام المعركة

١ _ اسباب معركة صفين

إرسال حبيبة بنت أبي سفيان قميص عثمان الى معاوية في الشام :

لما قتل الخليفة عثمان أرسلت أم حبيبة بنت أبي سفيان إلى أهل عثمان أرسلوا إلي بثياب عثمان التي قتل فيها، فبعثوا إليها بقميصه مضرجا بالدم، وبخصلة الشعر التي نتفت من لحيته ثم دعت النعمان بن بشير فبعثته إلى معاوية بأرسال قميص عثمان الملوث بدمائه وأصابع زوجته نائلة المقطوعة الى أخيها معاوية في دمشق. إذن تم ترتيب كل شيئ والهدف لم يكن إنقاذ عثمان بل الحصول على قميص عثمان فمضى بذلك وبكتابها(١).

خرج النعمان بن بشير ومعه قميص عثمان مضمخ بالدماء، ومعه أصابع نائلة التي أصيبت حين دافعت عنه بيدها وكانت نائلة بنت الفرافصة الكلبية زوج عثمان كلبية شامية فورد النعمان على معاوية بالشام، فوضعه معاوية على المنبر ليراه الناس وعلق الأصابع في كم القميص يرفع تارة ويوضع تارة، والناس يتباكون حوله وحث بعضهم بعضا على الأخذ بثأره من علي بن أبي طالب متهما إياه بالمشاركة في قتل عثمان أو بالتستر على قتلة عثمان ، وهم عماد جيش علي بن أبي طالب. وانضم عمرو الى معاوية ، وبايعه عمرو مقابل أن تكون مصر طعمة لعمرو إذا أنتزعها من والي علي . وجاء شرحبيل بن السمط الكندي وقال لمعاوية : كان عثمان خليفتنا، فإن قويت على الطلب بدمه وإلا فاعتزلنا . والي رجال الشام ألا يمسوا النساء ولا يناموا على الفرش حتى يقتلوا قتلة عثمان، ومن عرض دونهم بشيء أو تفنى أرواحهم وكان ذلك ما يريده معاوية، فقد كانت الصورة التي نقلها النعمان بن بشير إلى أهل الشام بشعة مقتل الخليفة، سيوفًا مصلتة من الغوغاء على رقاب الناس ،بيت المال منتهكا مسلوبًا وأصابع نائلة مقطوعة فهاجت النفوس و العواطف واهتزت المشاعر وتأثرت بها القلوب وذرفت منها العيون ولا غرابة بعد هذا إطلاقاً أن نرى إصرار معاوية ومن معه من أهل الشام على المطالبة بدم عثمان وتسليم القتلة للقصاص قبل البيعة (٢).

كان مقتل عثمان بن عفان بمثابة فتنة ابتلى بها الله الأمة فقد بويع على ابن ابي طالب من بعده بالخلافة في سنة 35هـ وكان حادث مقتل عثمان هو نواة اندلاع معركة صفين وأهم الأسباب التي ادت الى نشوب معركة صفين كانت قضية مقتل عثمان بن عفان هي السبب الرئيسي في نشوب هذه الموقعة (٣)

---

(١) ابو أسامة ، محمود شاكر الحرستاني ، (ت١٤٣٦)، التاريخ الإسلامي ، ط ٨ ، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٢١ ،ج٣، ص ٣٥٩ .

(٢) الغضبان، الدكتور منير محمد، معاوية بن أبي سفيان، ط٣، دار القلم _ دمشق ، ١٤١٧، ج ٢، ص 178_183.

(٣) ابن كثير، الإمام الحافظ المفسر المحدث الفقيه المؤرخ عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الشافعي، البداية والنهاية، تحقيق :عبدالله بن عبد المحسن التركي ، ط٣، دار المعارف، بيروت، ١٤١٣، ج٧ ، ص٢٥٣.

ومن الأسباب الأخرى خلافة علي بن ابي طالب والنزاع الدائر بينة وبين معاوية بن أبي سفيان و النزاع بين شيعة عثمان وبين شيعة علي حول الأخذ بالثأر وبيعة علي بن ابي طالب، كذلك مواقف الصحابة من القتال سواء أي من الفريقين فريق علي بن أبي طالب وفريق معاوية بن ابي سفيان (١).

يعتبر الخلاف في قضية قتلة الخليفة عثمان بن عفان هو السبب في حدوث القتال بين المسلمين في موقعة صفين، فأهل الشام طالبوا بالاقتصاص من عثمان وجعلوه شرطاً لبيعة علي بن ابي طالب ، وأهل مكة استنفروا الناس وجموعهم للمطالبة بدم الخليفة المقتول لكن علي بن أبي طالب خالف هؤلاء، وكان يرى تأخير القصاص من قتلة عثمان وأصر ان يأخذ البيعة أولا و في عملية التأخير هذه لأنه كان يريد ترتيب البيت الداخلي أولا ثم ينتقل الى القصاص للخليفة وأصر على موقفه على ان يستخدم القوة في أخذ البيعة بالقوة تجاه من خالفة ولم يبايعه، وقد طالب كبار الصحابة بالمدينة المنورةعلي بن أبي طالب إقامة الحدود للأخذ بدم عثمان بن عفان ولكن علي بن ابي طالب رفض هذا (٢).

كذلك قام علي ابن ابي طالب بعزل الولاة الذين تم تعينهم في عهد الخليفة عثمان بن عفان على رأسهم معاوية ولكن ضرب معاوية بقرار علي عرض الحائط مما أدى الى عزم علي بن ابي طالب على القتال، وبناء عليه تباين موقف الصحابة من هذا القتال فمنهم من اعتزل القتال ومنهم من قاتل مع أهل العرق ومنهم من قاتل مع اهل الشام مع معاوية، الطلب بدم عثمان قال عمرو أنتم علالحق اطلبوا بدم الخليفة المظلوم ومعاوية لا يلتفت إليه فقال لعمرو ابناه ألا ترى معاوية لا يلتفت إليك فانصرف إلى غيره فدخل عمرو على معاوية فقال له والله لعجب لك أني أرفدك بما أرقدك أما والله إن قاتلنا معك نطلب بدم الخليفة إن في النفس من ذلك ما فيها حيث تقاتل من تعلم سابقته وفضله وقرابته ولكنا إنما أردنا هذه الدنيا فصالحه معاوية وعطف عليه (3).

---

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٧، ص٢٥٤.

(2) الذهبي ،الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (ت ٧٤٨)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، ط١، دار الجبل، بيروت، (1992)، ج٣ ، ص٢٦٠.

(3) ابن الأثير،الإمام العلامة المحدث المؤرخ عز الدين ابو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري الشيباني ، (ت ٦٣٠)، الكامل في التاريخ،تحقيق: ابوصهيب الكرمي، ط ٣، بيت الأفكار الدولية ، الأردن ، ١٤٠٧ ، ج3، ص ٢٧٦ .

دوافع معاوية في عدم البيعة :

كان معاوية واليا على الشام في عهد عمر وعثمان ، ولما تولى الخلافة علي أراد عزله وتولية عبد الله بن عمر فاعتذر ابن عمر فأرسل علي سهل بن حنيف بدلاً . منه، إلا أنه ما كاد يصل مشارف الشام وادي القرى حتى عاد من حيث جاء؛ إذ لقيته خيل لمعاوية عليها مسلمة الفهري، فقالوا له إن كان بعثك عثمان فحيهلا بك وإن كان بعثك غيره ارجع، لقد امتنع معاوية وأهل الشام عن البيعة، ورأوا أن يقتص علي له من قتلة عثمان ثم يدخلون البيعة وقالوا لا نبايع من يؤوى القتلة، وتخوفوا على أنفسهم من قتلة عثمان الذين كانوا في جيش علي فرأوا أن البيعة لعلي لا تجب عليهم، وأنهم إذا قاتلوا على ذلك كانوا مظلومين قالوا لأن عثمان قتل مظلومًا باتفاق المسلمين وقتلته في عسكر علي وهم غاليون لهم شوكة فإذا بايعنا ظلمونا واعتدوا علينا، وضاع دم عثمان (١).

كان معاوية يرى أن عليه مسئولية الانتصار لعثمان والقصاص من قاتليه فهو ولي دمه، والله يقول((ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا)) الإسراء: ١٣٣، لذلك جمع معاوية الناس وخطبهم بشأن عثمان وأنه قتل مظلوماً على يد سفهاء منافقين لم يقدروا الدم الحرام، إذ سفكوه في الشهر الحرام في البلد الحرام فثار الناس، واستنكروا وعلت الأصوات، وكان منهم عدد من أصحاب رسول الله (٢) .

لقد كان الحرص الشديد على تنفيذ حكم الله في القتلة السبب الرئيسي في رفض أهل الشام بزعامة معاوية بن أبي سفيان بيعة علي بن أبي طالب، ورأوا أن تقديم حكم القصاص مقدم على البيعة، وليس لأطماع معاوية في ولاية الشام أو طلبه ما ليس له بحق، إذ كان يدرك إدراكا تاما أن هذا الأمر في بقية الستة من أهل الشورى، وأن عليا أفضل منه وأولى بالأمر منه وقد انعقدت البيعة له بإجماع الصحابة بالمدينة، وكان اجتهاد معاوية يخالف الصواب بعث علي بن ابي طالب كتباً كثيرة إلى معاوية فلم يرد عليه جوابها، وتكرر ذلك مرارا إلى الشهر الثالث من مقتل عثمان في صفر، ثم بعث معاوية طومارًا مع رجل، فدخل به على علي فقال ما وراءك؟ قال : جئتك من عند قوم لا يريدون إلا القود كلهم موتور تركت ستين ألف شيخ يبكون تحت قميص عثمان، وهو على منبر دمشق، فقال علي بن ابي طالب: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان (٣) .

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية ، ط٣ ، (129/7).

(٢) المالكي ، محمد بن عبد الله بن العربي الأندلسي الإشبيلي المالكي ،(ت ٥٤٣)، العواصم من القواصم ، تحقيق :الشيخ محب الدين الخطيب ، ط١ ، للناشر مكتبة السنة لصاحبها شرف الدين محمد عبد الفتاح حجازي، القاهرة، ، ١٤١٢،ج١ ص ١٦٢ .

(٣) الفقهي، عبد الحميد علي ناصر، خلافة علي بن أبي طالب ، تحقيق :دراسة نقدية للروايات من خلال كتب السنة والتاريخ ، ط١، النشر مكتبة الرشد ، ٢٠٠٦، ج١، ص ١١٢ .

٢ _ مقدمات قيام المعركة

لما خرج علي من البصرة متوجها الى الكوفة بعد فراغه من الجمل و قدم الكوفة سنة (٣٦) ارسل إلى جرير بن عبد الله البجلي وكان عاملا على همذان استعمله عثمان وإلي الأشعث بن قيس وكان على أذربيجان استعمله عثمان أيضا يأمرهما بأخذ البيعة والحضور عنده فلما حضرا عنده أراد علي أن يرسل رسولا إلى معاوية قال جرير أرسلني إليه فإني له ود فقال الأشتر لا تفعل فإن هواه مع معاوية فقال علي دعه حتى ننظر ما الذي يرجع إلينا به فبعثه وكتب معه كتابا إلى معاوية يعلمه فيه باجتماع المهاجرين والأنصار علي بيعته ونكث طلحة والزبير وحربه إياهما ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه المهاجرون والأنصار من طاعته، فسار جرير إلى معاوية فلما قدم عليه كتاب عليا فقرأه ثم قام جرير وقال يا أهل الشام إنه من لم ينفعه القليل لم ينفعه الكثير وقد كانت بالبصرة ملحمة لن يشفع البلاء بمثلها فلا بقاء للإسلام فاتقوا الله يا أهل الشام وروا في علي ومعاوية خيرا فانظروا لأنفسكم ولا يكونن أحد أنظر لها منكم ماطله واستنظره واستشار معاوية عمرو بن العاص فأشار اليه أن يجمع أهل الشام والخروج نحو العراق للمطالبة بدم الخليفة المقتول ويلزم عليا دم عثمان ويقاتله بهم ففعل (1).

فأبوا أن يبايعوه حتى يقتل قتلة عثمان أو أن يسلم إليهم قتلة عثمان، وإن لم يفعل قاتلوه ولم يبايعوه حتى يقتلهم عن آخرهم. رجع جرير إلى علي فأخبره بما قالوا، فقال الأشتر: ألم أنهك يا أمير المؤمنين أن تبعث جريرافلو كنت بعثتني لما فتح معاوية بابا إلا أغلقته فقال له جرير : لو كنت ثم لقتلوك بدم عثمان، فقال الأشتر: والله لو بعثني لم يعتني جواب معاوية، ولأعجلنه عن الفكرة، ولو أطاعني قبل أمير المؤمنين لحبسك وأمثالك حتى يستقيم أمر هذه الأمة. فقام جرير مغضبا وكتب إلى معاوية يخبره بما قال وقيل له، فكتب إليه معاوية يأمره القدوم عليه وهكذا كان الأشتر سببا في إبعاد الصحابي جرير بن عبد الله و مفارقة أمير المؤمنين علي عليه، الذي كان واليا على قرقيسياء وعلى غيرها ورئيسا في قبيلته بجيلة، ويضطره إلى مفارقة أمير المؤمنين علي. وهذا الصحابي جرير بن عبد الله البجلي :قال ما رآني رسول الله إلا تبسم في وجهي، وقال : يطلع عليكم من هذا الباب رجل من خير ذي يمن على وجهه مسحة ملك (2).

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص276.

(2) ابن كثير، البداية و النهاية ،ج 7، ص٢٦٥.

مسير أمير المؤمنين الى الشام :

استعد أمير المؤمنين علي لفتح الشام، فبعث يستنفر الناس وجهز جيشا ضخما يقدر بخمسين ألفا وكان مكان تجمع جند أمير المؤمنين النخيلة، فلما نزل علي بن أبي طالب النخيلة متوجهاً إلى الشام وبلغ معاوية خبره وهو يومئذ بدمشق قد ألبس منبر دمشق قميص عثمان مخضباً بالدم وحول المنبر سبعون ألف شيخ يبكون حوله فخطبهم وحثهم على القتال، فأعطوه الطاعة وانقادوا له وجمع إليه أطرافه واستعد للقاء علي ، وهو على بعد ميلين من الكوفة آنذاك فتوافدت عليه القبائل من شتى إقليم العراق واستعمل علي بن أبي طالب أبا مسعود الأنصاري وبعث من النخيلة زياد بن النضر الحارثي طليعة في ثمانية آلاف مقاتل، وبعث شريح بن هانئ في أربعة آلاف، وبلغ عليا أن معاوية قد استعد للقتال واجتمع معه أهل الشام وسار علي من النخيلة في المهاجرين والأنصار حتى أتى المدائن فلقيه الدهاقين بالهدايا فردها فقالوا ولم ترد علينا يا أمير المؤمنين قال نحن أغنى منكم بحق أحق بأن نفيض عليكم، فانضم إليه فيها من المقاتلة وولى عليها سعد بن مسعود الثقفي، ووجه منها معقل بن قيس في طليعة ثلاثة آلاف إلى الموصل حتى يوافيه الرقة وأخذ معه من بالمدائن من المقاتلة (١).

وسلك طريق الجزيرة الرئيسي على شط الفرات الشرقي حتى بلغ قرب قرقيسياء فأتته الأخبار بأن معاوية قد خرج لملاقاته وعسكر بصفين ، ثم سار إلى الرقة ، فلما وصل إلى الرقة قال لأهلها ليعملوا له جسراً يعبر عليه إلى الشام، فأبوا وكانوا قد ضموا سفنهم إليهم، فنهض من عندهم ليعبر على جسر منبج، وخلف عليهم الأشتر، فناداهم الأشتر وحذرهم من مغبة ما هم مقبلين عليه، فبعثوا إليه إنا ناصبون لكم جسراً فأقبلوا، وجاء علي بن أبي طالب فنصبوا له الجسر فعبر عليه بالأثقال والرجال. ثم أمر علي الأشتر فوقف في ثلاثة آلاف فارس حتى لم يبق من الناس أحد إلا عبر ثم إنه عبر آخر الناس رجلاً. فأكمل جيش علي بن أبي طالب المسيرإلى أن وصل إلى بلدة صفين (٢).

---

(1) الطبري، الإمام الفقيه المفسر المؤرخ ابوجعفر محمد بن جرير الطبري، (ت 310) ، تاريخ الأمم والملوك تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط ٢، الناشر : دار المعارف، مصر، ١٣٨٧، ج٤، ص ٥٦٢ .

(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان، صفين، ج ٤، ص ٣٢٨.

خروج معاوية إلى صفين :

عندما علم معاوية بتحرك جيش العراق جمع مستشاريه من أعيان أهل الشام، وخطب فيهم وقال: إن عليا نهد إليكم في أهل العراق، وكان أهل الشام قد بايعوا معاوية على الطلب بدم عثمان والقتال . وقد قام عمرو بن العاص بتجهيز الجيش وعقد الألوية، وقام في الجيش خطيباً يحرضهم، ان أهل العراق قد فرقوا جمعهم وأوهنوا شوكتهم وفلوا حدهم، ثم إن أهل البصرة مخالفون لعلي وقد وترهم وقتلهم، وقد تفانت صناديد أهل الكوفة يوم الجمل، وإنما سار في شرذمة قليلة، ومنهم من قد قتل خليفتكم، فالله الله في حقكم أن تضيعوه، وفي دمكم أن تبطلوه(١).

وسار معاوية في جيش ضخم فقدر بمائة وعشرين ألفا وقدر بسبعين ألف مقاتل، وقدر بأكثر من ذلك بكثير، إلا أن الأقرب للصواب أنهم ستون ألف مقاتل، وكان قادة جيش معاوية على النحو التالي: عمرو بن العاص على خيول أهل الشام كلها والضحاك بن قيس على رجالة الناس كلهم، وذو الكلاع الحميري على ميمنة الجيش وحبيب بن مسلمة على ميسرة الجيش وأبو الأعور السلمي على المقدمة. هؤلاء هم القادة الكبار، وتحت كل قائد من هؤلاء قادة وزّعوا حسب القبائل وكان هذا الترتيب عند مسيره إلى صفين، ولكن أثناء الحرب تغير بعض القادة وظهر قادة آخرون مما اقتضته الظروف، وبعث معاوية أبا الأعور السلمي مقدمة للجيش، وكان خط سيرهم إلى الشمال الشرقي من دمشق، ولما بلغ صفين أسفل الفرات عسكر في سهل فسيح إلى جانب شريعة في الفرات ليس في ذلك المكان شريعة غيرها وجعلها في حيزه (٢).

---

(١) البلاذري ، احمد بن يحى بن جابر بن داوود البغدادي (ت ٢٧٩)، انساب الإشراف، تحقيق : سهيل زكار ، ط ١، دار النشرات الإسلامية ، بيروت ، 1417 ، ج٢، ص ٢٩٧.

(٢) المنقري، ابو الفضل نصر بن مزاحم بن سيار ، (ت ٢١٢)، وقعة صفين ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، ط٣، دار النشر المؤسسة العربية الحديثة ، ١٣٨٢ ، ج٢ ، ص ١٦٠/ ١٦١.

سيطرة جيش معاوية على الماء :

إن معاوية سبق عليا إلى صفين وعسكر في سهل فسيح أسهل موضع و اختار قبل قدوم علي بن ابي طالب ، فلما نزل علي نزل بعيدا من الماء، وجاء سرعان أهل العراق ليردوا من الماء فمنعهم أهل الشام وأن علي بن ابي طالب وجيشه فقد باتوا عطاشا قد حيل بينهم وبين الماء، فوقع بينهم مقاتلة بسبب ذلك.وقد كان معاوية وكل على الشريعة أبا الأعور السلمي، وليس هناك مشرعة سواها، فقال عمرو بن العاص لمعاوية : إن عليا لا يموت عطشا هو وتسعون الفا من أهل العراق وسيوفهم على عواتقهم ولكن دعهم يشربون ونشرب فقال معاوية: ولا والله أو يموتوا عطشا كما مات عثمان. فارسل علي بن أبي طالب رسولا وهو الأشعث بن قيس الكندي الى معاوية في جماعة ليصلوا إلى الماء إن الذي جئنا له غير الماء، لو سبقناك إليه لم نمنعك عنه فمنعهم أولئك فقال معاوية إلى رسول علي بن أبي طالب الاشعث ارجع فقل لعلي ولا قطرة حتى تموت عطشاً فلما وافى علي وأصحابه لم يصلوا إلى الماء فتوسل الناس إلى معاوية وقالوا لا تقتل الناس عطشا فيهم العبد والأمة والأجير فأبى معاوية وقال لا سقاني الله ولا أبا سفيان من حوض رسول الله إن شربوا منه أبدا (١).

سيطرة جيش علي بن أبي طالب على الماء :

فأمر علي بن أبي طالب الأشعث بن قيس وقال له اخرج في أربعة آلاف من الخيل حتى تهجم في وسط عسكر معاوية فتشرب وتستسقي لأصحابك او تموتوا عن اخركم، وأنا أسير في خيل ورجال ورائك ثم دعا علي بن أبي طالب الأشتر فسرحه في أربعة آلاف من الخيل والرجال ثم سار علي بن أبي طالب وراء الأشتر بباقي الجيش ومضى الأشتر حتى هجم على معسكر معاوية وكانت خيل معاوية مع أبي الأعور السلمي فقاتله أصحاب علي حتى صارت سنابك الخيل في الفرات وغلبوا على المشرعة وكان الواقف عليها عبد الله بن الحارث أخو الأشتر، فلما غلب علي على المشرعة، فأزال أبا الأعور عن الشريعة وفرق منهم عددا كبير من الرجال والخيل، واشتدت الحرب بينهم أكثر مما كانت، ثم ما زال أهل العراق يكشفون الشاميين عن الماء حتى أزاحوهم وخلوا بينهم وبينه، قال أصحاب معاوية إنه لا قوام لنا وقد أخذ علي الماء واضطر معاوية إلى الارتجال عن الموضع الذي سبق أن اتخذه، ثم نزل علي بن أبي طالب وجيشه في المواضع الذي كان فيه معاوية وجنده وعطش أصحاب معاوية لبعدهم عن الماء، فقال عمرو بن العاص لمعاوية إن عليا لا يستحل منك ومن أصحابك ما استحللت، فبعث معاوية إلى علي بن أبي طالب يستأذنه في وروده واستقاء الناس منه فأذن له بما أراد، وكان ذلك في ذي الحجة سنة ٣٦ ثم وجه علي إلى معاوية يدعوه ويسأله الرجوع وألا يفرق الأمة بسفك الدماء فأبى إلا الحرب فكانت الحرب في صفين سنة ٣٧ وأقامت بينهم (٢).

---

(١) الطبري ، تاريخ الطبري، ج٣، ص١٧.

(٢) اليعقوبي ، احمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب الإخباري،(ت٨٩٧)،تاريخ اليعقوبي، تحقيق عبد الأمير مهنا، ط١، دار النشر شركة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٤٣١، ج2، ص ٨٧.

المبحث الثانـي

وقائع المعركة ونتائجها

١_ معارك اهل العراق والشام

٢_ نتائج معركة صفين

١ _ معارك اهل العراق والشام

القتال على الماء:

وصل جيش علي إلى صفين ، حيث عسكر معاوية، ولم يجد موضعا فسيحا سهلا يكفي الجيش، فعسكر في موضع وعر نوعًا ما إذ أغلب الأرض صخور ذات كدي وأكمات فوجئ جيش العراق بمنع معاوية عنهم الماء، فهرع البعض إلى علي يشكون إليه هذا الأمر، فأرسل علي إلى الأشعث بن قيس فخرج في ألفين ودارت أول معركة بين الفريقين، انتصر فيها الأشعث واستولى على الماء ، وقد كان القتال على الماء في أول يوم تواجها فيه في بداية شهر ذي الحجة فاتحة شر على الطرفين المسلمين إذ استمر القتال بينهما متواصلا طوال هذا الشهر، وكان القتال على شكل كتائب صغيرة، فكان علي يخرج من جيشه كتيبة صغيرة يؤمر عليها أميرًا، فتقتتلان مرة واحدة في اليوم في الغداة أو العشي، وفي بعض الأحيان تقتتلان مرتين في اليوم، وكان أغلب من يخرج من أمراء الكتائب في جيش علي الأشتر وحجر بن عدي، وشبث بن ربعي، وخالد بن المعتمر ومعقل بن يسار الرياحي. ومن جيش معاوية أغلب من يخرج حبيب بن مسلمة، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وعبيد الله بن عمر بن الخطاب وأبو الأعور السلمي، وشرحبيل بن السمط، وقد تجنبوا القتال بكامل الجيش ؛ خشية الهلاك والاستئصال وأملا في وقوع صلح بين الطرفين، تصان به الأرواح والدماء (١).

التوقف عن الحرب ومحاولات الصلح :

ما إن دخل شهر المحرم حتى بادر الفريقان إلى الموادعة والهدنة ؛ طمعا في صلح يحفظ دماء المسلمين، فاستغلوا هذا الشهر في المراسلات بينهم ولكن المعلومات عن مراسلات هذه الفترة شهر المحرم وردت من طرق ضعيفة مشهورة، إلا أن ضعفها لا ينفى وجودها، كان البادئ بالمراسلة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب له، فأرسل بشير بن عمرو الأنصاري، وسعيد بن قيس الهمداني، وشبث بن ربعي التميمي إلى معاوية له يدعوه كما دعاه من قبل إلى الدخول في الجماعة والمبايعة فرد معاوية عليه برده السابق المعروف بتسليم قتلة عثمان أو القود منهم أولا، ثم يدخل في البيعة، وقد تبين لنا موقف علي من هذه القضية. كما أن قراء الفريقين قد عسكروا في ناحية من صفين وهم عدد كبير، قد قاموا محاولات للصلح بينهما، فلم تنجح تلك المحاولات لالتزام كل فريق منهما برأيه وموقفه (٢)

---

(1) عبد الحميد ، خلافة علي بن ابي طالب ، ج١، ص ١٩٦.

(٢) الطبري ، تاريخ الطبري، ج٥، ص، ٦١٢_٦١٤.

وقد حاول اثنان من الصحابة وهما : أبو الدرداء، وأبو أمامة الصلح بين الفريقين، فلم تنجح مهمتهما أيضا لنفس الأسباب السابقة، فتركا الفريقين ولم يشهدا معهما يأمرهما، وكذلك حضر مسروق بن الأجدع أحد كبار التابعين فوعظ وخوف ولم يقاتل وقد انتقد ابن كثير التفصيلات الطويلة التي جاءت في روايات أبي مخنف ونصر بن مزاحم، بخصوص المراسلات بين الطرفين فقال : ثم ذكر أهل السير كلاما طويلا جرى بينهم وبين علي، وفي صحة ذلك عنهم وعنه نظر، فإن في مطاري ذلك الكلام من علي ما ينتقص فيه معاوية وأباه، وأنهما إنما دخلا في الإسلام ولم يزالا في تردد فيه وغير ذلك، وأنه قال في ذلك: لا أقول إن عثمان قتل مظلومًا ولا ظالما .. وهذا عندي لا يصح من علي وموقف علي من قتل عثمان واضح قد بينته في كتابي عن عثمان بن عفان، وفي هذا الكتاب .

نشوب الحرب مرة أخرى :

عادت الحرب على ما كانت عليه في شهر ذي الحجة من قتال الكتائب والفرق والمبارزات الفردية، خشية الالتحام الكلي إلى أن مضى الأسبوع الأول منه، وكان عدد الوقعات الحربية بين الفريقين إلى هذا التاريخ أكثر من سبعين وقعة، وذكر أنها تسعون ، إلا أن عليا أعلن في جيشه أن غدًا الأربعاء سيكون الالتحام الكلي لجميع الجيش، ثم نبذ معاوية يخبره بذلك، فثار الناس في تلك الليلة إلى أسلحتهم يصلحونها ويحدونها وقام عمرو بن العاص بإخراج الأسلحة المخازن لمن يحتاج من الرجال ممن فل سلاحه، وهو يحرض الناس على الاستبسال في القتال ، وبات جميع الجيشين في مشاورات وتنظيم للقيادات والألوية (١).

١ _ اليوم الأول :

أصبح الجيشان في يوم الأربعاء قد نظمت صفوفهم ووزعوا حسب التوزيع المتبع في المعارك الكبرى : قلب وميمنة وميسرة، فكان جيش علي النحو التالي :علي بن أبي طالب على القلب، وعبد الله بن عباس على الميسرة وعمار بن ياسر على الرجالة، ومحمد ابن الحنفية حامل الراية، وهشام بن عتبة المرقال - حامل اللواء والأشعث بن قيس على الميمنة. وأما جيش الشام ، فمعاوية في كتيبة الشهباء أصحاب البيض والدروع على تل مرتفع، وهو أمير الجيش، وعمرو بن العاص قائد خيل الشام كلها، وذو الكلاع الحميري على الميمنة على أهل اليمن، وحبيب بن مسلمة الفهري على الميسرة على مضر، والمخارق بن الصباح الكلامي حامل اللواء، وتقابلت الجيوش الإسلامية ومن كثرتها قد سدت الأفق (٢).

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية ، ج٧، ص٢٦٩ _ ٢٧٠.

(٢) العصفري، أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي الملقب بشباب ، (ت ٢٤٠)، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : الدكتور أكرم ضياء العمري ، ط٢ ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٣٩٧، ج ١، ص ١٩٤.

والتحم الجيشان في قتال عنيف استمر محتدما إلى غروب الشمس، لا يتوقف إلا لأداء الصلاة، ويصلي كل فريق في معسكره وبينهما جثث القتلى في الميدان تفصل بينهما، وسأل أحد أفراد الجيش عليا حين انصرافه من الصلاة فقال : ما تقول في قتلانا وقتلاهم يا أمير المؤمنين؟ فقال: من قتل منا ومنهم يريد وجه الله والدار الآخرة دخل الجنة) وقد صبر بعضهم على بعض فلم يغلب أحد أحدا، ولم ير موليا حتى انتهى ذلك اليوم. وفي المساء . خرج علي إلى ساحة القتال فنظر إلى أهل الشام، فدعا ربه قائلا : اللهم اغفر لي ولهم (١).

٢_ اليوم الثاني :

في يوم الخميس أن عليا قد غلس بصلاة الفجر واستعد للهجوم، وغير بعض القيادات، فوضع عبد الله بن بديل الخزاعي على الميمنة بدلا من الأشعث بن قيس الكندي الذي تحول إلى الميسرة، وزحف الفريقان نحو بعضهما واشتبكوا في قتال عنيف أشد من سابقه، وبدأ أهل العراق في التقدم، وأظهروا تفوقاً على أهل الشام واستطاع عبد الله بن بديل أن يكسر ميسرة معاوية وعليها حبيب بن مسلمة ويتقدم باتجاه كتيبة معاوية - الشهباء وأظهر شجاعة وحماسًا منقطع النظير، وصاحب هذا التقدم الجزئي تقدم عام لجيش العراق، حتى إن معاوية قد حدثته نفسه بترك ميدان القتال (٢).

واستحث كتيبته الشهباء، واستطاعوا قتل عبد الله بن بديل، فأخذ مكانه في قيادة الميمنة الأشتر، وتماسك أهل الشام وبايع بعضهم على الموت وكروا مرة أخرى بشدة وعزيمة، وقتل عدد من أبرزهم ذو الكلام، وحوشب وعيد الله بن الخطاب ، وانقلب الأمر لجيش الشام، وأظهر تقدماً، وبدأ جيش العراق في التراجع، واستحر القتل في أهل العراق، وكثرت الجراحات، ولما رأى علي جيشه في تراجع أخذ يناديهم ويحمسهم، وقاتل قتالا شديدا، واتجه إلى القلب حيث ربيعة، فثارت فيه الحمية وبايعوا أميرهم خالد بن المعتمر على الموت وكانوا أهل قتال (٣).

وكان عمار بن ياسر قد جاوز الرابعة والتسعين عامًا، وكان يحارب بحماس ؛ يحرض الناس، ويستنهض الهمم، ولكنه بعيد كل البعد عن الغلو، فقد سمع . رجلا بجواره يقول : كفر أهل الشام فنهاه عمار عن ذلك وقال : إنما بغوا علينا فنحن نقاتلهم لبغيهم، فإلهنا واحد، ونبينا ،واحد، وقبلتنا واحدة، ولما رأى عمار لله تقهقر أصحابه، وتقدم خصومه، أخذ يستحثهم وبين لهم أنهم على الحق ولا يغرنهم ضربات الشاميين الشديدة، فيقول له : من سره أن تكتنفه الحور العين فليقدم بين الصفين محتسبا ، فإني لأرى صفا يضربكم ضربًا يرتاب منه المبطلون، والذي نفسي بيده، لو ضربونا حتى يبلغوا منا سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل (٤) .

---

(١) ابن ابي شيبة، الإمام ابي بكر عبدالله بن محمد الكوفي، المصنف لابن ابي شيبة، تحقيق ناصر بن عبد العزيز ابو حبيب المشتري، ط١ ، دار كنوز إشبيليا، ١٤٣٦، ج ١٥، ص ٢٩٧.

(٢) الطبري ، تاريخ الطبري ج٥، ص ٦٣٠.

(٣) البلاذري، أنساب الإشراف، ج٢، ص ٥٦.

(٤) عبد الحميد، خلافة علي بن أبي طالب، ج٢ ، ص ٢١١ .

٣_ اليوم الثالث :

وخرج اليوم الثالث عمار بن ياسر وخرج إليه عمرو بن العاص فاقتتل الناس كأشد القتال واحد عمار يقول يا أهل العراق أتريدون أن تنظروا إلى من عادى الله ورسوله وجاهدهما وبغى على المسلمين وظاهر المشركين فلما رأى الله عز وجل يعز دينه ويظهر رسوله أتى النبي فأسلم وهو فيما نرى راهب غير راغب ثم قبض الله عز وجل رسوله فوالله إن زال بعده معروفا بعداوة المسلم وهوادة المجرم فاثبتوا له وقاتلوه فإنه يطفئ . ويظاهر أعداء الله عز وجل فكان مع عمار زياد بن النضر على الخيل فأمره أن يحمل في الخيل فحمل وقاتله الناس وصبر وا له وشد عمار في الرجال فازال عمرو بن العاص عن موقفه وبارز يومئذ زياد بن النضر أخا له لأمه يقال له عمرو بن معاوية بن المنتفق بن عقيل وكانت أمهما امرأة من بني يزيد قلما التقيا تعارفا فتواقفا ثم انصرف كل واحد منهما عن صاحبه وتراجع الناس

٤_ اليوم الرابع :

فلما كان من خرج محمد بن علي وعبيدالله بن عمر في جمعين عظيمين فاقتتلوا كأشد القتال ثم إن عبيدالله أرسل إلى ابن الحنفية أن أخرج إلي فقال نعم ثم خرج يمشي وان أمير المؤمنين علي قال من هذان المتبارزان فقيل ابن الحنفية وعبيدالله بن عمر فحرك دابته ثم نادى محمدا فوقف له فقال أمسك دابتي فأمسكها ثم مشى إليه علي فقال أبرز لك هلم إلي فقال ليست لي في مبارزتك حاجة فقال بلى فقال لا فرجع ابن عمر فأخذ ابن الحنفية يقول لأبيه يا أبتي لم منعتني من مبارزته فوالله لو تركتني لرجوت أن أقتله فقال لو بارزته لرجوت أن تقتله وما كنت أمن أن يقتلك فقال يا أبتي أو تبرز لهذا الفاسق والله لو أبوه سألك المبارزة لرغبت بك عنه فقال علي يا بني لا تقل في أبيه إلا خيرا ثم إن الناس تحاجزوا و تراجعوا (١).

٥_ اليوم الخامس :

كان اليوم الخامس قد خرج عبدالله بن عباس والوليد بن عقبة فاقتتلوا قتالا شديدا ودنا ابن عباس من الوليد بن عقبة فأخذ الوليد يسب بني عبد المطلب وأخذ يقول يا بن عباس قطعتم أرحامكم وقتلتم إمامكم فكيف رأيتم الله صنع بكم لم تعطوا ما طلبتم ولم تدركوا ما أملتم والله إن شاء مهلككم وناصر عليكم فأرسل إليه ابن عباس ان ابرز لي فأبى وقاتل ابن عباس يومئذ قتالا شديدا وغشي الناس بنفسه.

٦_ اليوم السادس :

ثم خرج من جيش علي بن أبي طالب قيس بن سعد الأنصاري و من جيش معاوية بن أبي سفيان شرحبيل بن ذي الكلاع الحميري فاقتتلوا قتالا شديدا وقد قُتل والده ذو الكلاع الحميري في هذه المعركة، ودار القتال بين الفريقين من الصباح إلى المساء، تساقط خلاله القتلى وكثر الجرحى دون أن تكون الغلبة لأحد الفريقين. ثم انصرفا وذلك في اليوم السادس. (٢).

---

(1) الطبري، تاريخ الطبري، ج٣ ، ص٤٤.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص176.

٧_ اليوم السابع :

وفي اليوم السابع خرج للمرة الثانية كل من الأشتر النخعي على مجموعة من جيش العراق، وحبيب بن مسلمة على جيش الشام فكلاهما قائدا الجيشين خلال اليوم الأول كذلك وفي مساء هذا اليوم، تبين أن استمرار هذا الأمر، من إخراج فرقة تتقاتل مع الفرقة الأخرى دون أن يكون النصر لأحد سيأتي على المسلمين بالهلاك، ولن حقق المقصود، وهو إنهاء هذه الفتنة. وكان علي بن أبي طالب يفعل ذلك ليجنّب المسلمين خطر التقاء الجيشين الكبيرين، ولئلا تُراق دماء كثيرة، فكان يخرج مجموعة من الجيش لعلها أن تهزم المجموعة الأخرى، فيعتبروا ويرجعوا عن ما هم عليه من الخروج عليه، وكذلك كان معاوية بن أبي سفيان يخرّج مجموعة من جيشه فقط دون الجيش كله ليمنع بذلك إراقة دماء المسلمين. فقرر علي بن أبي طالب أن يخرج بجيشه كله لقتال جيش الشام، وكذلك قرر معاوية بن أبي سفيان، وبقي الجيشان طوال هذه الليلة يقرؤون القرآن ويصلون ويدعون الله أن يمكنهم من رقاب الفريق الآخر جهادًا في سبيل الله، ويدوّي القرآن في أنحاء المعسكرين، وبايع جيش الشام معاوية على الموت، فليس عندهم تردد فيما وصلوا إليه باجتهادهم، ويستعدون للقاء الله تعالى على الشهادة في سبيله، ومع أنهم يعلمون أنهم يقاتلون فريقًا فيه كبار الصحابة: علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس، وغيرهم، إلا أنه كان معهم أيضًا الكثير من الصحابة: معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وهو من أفقه الصحابة، ولم يكن يرغب على الإطلاق أن يقاتل في صف معاوية ولا في صف علي ولم يشترك في هذه المعركة إلا لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان قد أوصاه بألا يخالف أباه، وقد أمره أبوه عمرو بن العاص أن يشارك في القتال، فاشترك في الحرب، غير أنه لم يقاتل ولم يرفع سيفًا في وجه أحد من المسلمين (١).

٨_ اليوم الثامن :

وفي اليوم الثامن خرج علي بن أبي طالب بنفسه على رأس جيشه، كما خرج معاوية بن أبي سفيان على رأس جيشه، ودار بين المسلمين من الطرفين قتال عنيف وشرس، لم يحدث مثله من قبل، فهؤلاء هم الأسود الشجعان الذين قهروا دولة الروم ودولة الفرس، وثبت الفريقان لبعضهما ولم يفرّ أحد، ودار القتال من الصباح حتى العشاء، وتحاجز الفريقان بعد سقوط الكثير من القتلى والجرحى (٢) .

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص176.

(٢) الطبري، تاريخ الطبري، ج٣ ، ص٤٥.

٩_ اليوم التاسع :

وفي اليوم التاسع صلى علي بن أبي طالب الصبح، وخرج مباشرة لساحة القتال مستأنفا من جديد، كان على ميمنة علي بن أبي طالب عبد الله بن بديل، وعلى ميسرته عبد الله بن عباس، فهجم عبد الله بن بديل على ميسرة معاوية بن أبي سفيان وعليها حبيب بن مسلمة، وأجبرهم عبد الله بن بديل على التوجه إلى القلب، وبدأ جيش علي في إحراز بعض من النصر، ويرى ذلك معاوية، فيوجه جيشه لسد هذه الثغرة، وينجح جيشه بالفعل في سد الثغرة ويردّون عبد الله بن بديل عن ميسرتهم، وقُتل في هذا اليوم خلق كثير، وانكشف جيش علي بن أبي طالب حتى وصل الشاميون إلى علي، فقاتل بنفسه قتالًا شديدًا (١) .

بدأ جيش علي بن أبي طالب في الانكسار بعد الهجمة التي شنها عليها جيش معاوية بن أبي سفيان، فأمر علي بن أبي طالب الأشتر النخعي لينقذ الجانب الأيمن من الجيش، واستطاع بقوة بأسه وكلمته على قومه أن ينقذ الموقف، وأظهر بأسه وقوته وشجاعته في هذا الموقف، ورد الأمر إلى نصابه، واستطاعت ميمنة الجيش من السيطرة مرةً أخرى على أماكنها التي كانت قد انسحبت منها. وقال عبدالله بن بديل لأصحابه استقدموا بنا فأرسل الأشتر إليه ألا تفعل أثبت مع الناس فقاتل فإنه خير لهم وابقى لك ولأصحابك فأبى فمضى كما هو نحو معاوية وحوله كأمثال الجبال وفي يده سيفان وقد خرج فهو أمام أصحابه فأخذ كلما دنا منه رجل ضربه فقتله حتى قتل سبعة ودنا من معاوية فنهض إليه الناس من كل جانب وأحيط به وبطائفة من أصحابه فقاتل حتى قتل وقتل ناس من أصحابه ورجعت طائفة قد جرحوا منهزمين فبعث الأشتر بن جمهان الجعفي فحمل على أهل الشام الذين يتبعون من اصحاب ابن بديل حتى نفسوا عنهم وانتهوا إلى الأشتر فقال لهم ألم يكن رأيي لكم خيرا من رأيكم لأنفسكم ألم أمركم أن تثبتوا مع الناس وكان معاوية قال لابن بديل وهو يضرب قدما أترونه كيش القوم فلما قتل ارسل إليه فقال انظروا من هو فنظر اليه ناس من أهل الشام فقالوا لا نعرفه فأقبل إليه حتى وقف عليه فقال بلى هذا عبدالله بن بديل وقتل في هذا اليوم عبد الله بن بديل وتكاد الكرة تكون على جيش علي، لولا أن ولّى علي على الميمنة الأشتر النخعي،وإن الأشتر زحف إليهم فاستقبله معاوية بعك والأشعرين فاقتتلوا قتالا شديدا وأخذ يخرج إلى قومه فيقول إنما هم عك فاحملوا عليهم فيجنون على الركب ويرتجزون يا ويل أم مذحج من عك هاتيك ام مذحج تبكي فقاتلوهم حتى المساء ثم إنه قاتلهم في همدان وناس من طوائف الناس فحمل عليهم فأزالهم عن مواقفهم حتى الحقهم بالصفوف الخمسة المعقلة بالعمائم حول معاوية ثم شد عليهم شدة أخرى فصرع الصفوف الأربعة وكانوا معقلين بالعمائم حتى انتهوا إلى الخامس الذي حول معاوية أن عليا لما رأى ميمنته قد عادت إلى مواقعها ومصافها وكشفت من باراتها من عدوها حتى ضاربهم في مواقفهم ومراكزهم أقبل حتى انتهى إليهم فقال إني قد رأيت جولتكم وانحيازكم عن صفوفكم يحوزكم الطغاة الجفاة وأعراف أهل الشام وأنتم لهاميم العرب والسنام الأعظم وعمار الليل بتلاوة القرآن وأهل دعوة الحق إذ ضل الخاطئون فلولا إقبالكم بعد ادباركم وكركم بعد انحيازكم وجب عليكم ما وجب على المولي الزحف دبره و كنتم من الهالكين (٢).

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص176.

(٢) الطبري، تاريخ الطبري، ج٣ ، ص٤٧.

وخرج قيس بن يزيد وهو ممن فر إلى معاوية فخرج إليه أبو العمرطة بن يزيد فتعارفا فتواقفا ثم انصرفا وأخبر كلّ واحدٍ منهما أنه لقي أخاه، وقاتلت طيئ يومئذ قتالاً شديداً فعبيت لهم جموع فأتاهم حمرة بن مالك الهمداني فقال : من القوم؟ فقال له عبد الله بن خليفة وكان شيعياً شاعراً خطيباً : نحن طيئ السهل، وطيئ الرمل، وطيء الجبل الممنوع ذي النخل، نحن طيئ ،الرماح ، وطيء البطاح، فرسان الصباح . فقال حمرة بن مالك: إنك لحسن الثناء على قومك واقتتل الناس قتالاً شديداً. وقاتلت النخع يومئذ قتالاً شديداً فأصيب منهم حيان، وبكر ابنا هونة، وشعيب بن نعيم، وربيعة بن مالك بن وهبيل، وأبي أخو علقمة بن قيس الفقيه، وقطعت رجل علقمة. وخرجت حمير في جمعها ومن انضم إليها من أهل الشام ومقدمهم ذو الكلاع ومعه عبيد الله بن عمر بن الخطاب وهم ميمنة أهل الشام فقصدوا ربيعة من أهل العراق وكانت ربيعة ميسرة أهل العراق وفيهم ابن عباس على الميسرة فحملوا على ربيعة حملة شديدة فتضعضعت راية ربيعة – وكانت الراية مع أبي ساسان حضين بن المنذر - فانصرف أهل الشام عنهم، ثم كر عبيد الله بن عمر وقال: يا أهل الشام إن هذا الحي من أهل العراق قتلة عثمان وأنصار على فشدوا على الناس شدة عظيمة. فثبتت ربيعة وصبروا صبراً حسناً إلا قليلاً من الضعفاء والفَشَلَة، وثبت أهل الرايات، وأهل الصبر، والحفاظ وقاتلوا قتالاً حسناً، وانهزم خالد بن المعمر مع من انهزم وكان على ربيعة، فلما رأى أصحاب الرايات قد صبر وا رجع وصاح بمن انهزم وأمرهم بالرجوع فرجعوا (1).

مقتل عمار بن ياسر :

خرج عمار بن ياسر على الناس فقال : (اللهم إنك تعلم أني لو أعلم أن رضاك في أن أقذف بنفسي في هذا البحر لفعلته . اللهم إنك تعلم أني ، لو أعلم أن رضاك في أن أضع ظبة سيفي في بطني ثم أنحني عليها حتى تخرج من ظهري لفعلته. وإني لا أعلم اليوم عملاً هو أرضى لك مِنْ جهادِ هؤلاء الفاسقين ولو أعلم عملا هو أرضى لك منه لفعلته. والله إني لأرى قوماً ليضر بنكم ضرباً يرتاب منه المبطلون، وأيم الله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمتُ أنا على الحق وأنهم على الباطل :ثم قال: من يبتغي رضوان الله ربه ولا يرجع إلى مال ولا ولد فأتاه عصابة فقال : و اقصدوا بنا هؤلاء القوم الذين يطلبون دم ،عثمان والله ما أرادوا الطلب بدمه ولكنهم ذاقوا الدنيا واستحبوها وعلموا أن الحق إذا لزمهم حال بينهم وبين ما يتمرغون فيه منها ولم يكن لهم سابقة يستحقون بها طاعة الناس والولاية عليهم فخدعوا أتباعهم وقالوا : إمامنا قتل مظلوماً . ليكونوا بذلك جبابرة ملوكاً فبلغوا ما ترون قولا هذا ما تبعهم من الناس رجلان. اللهم إن تنصرنا فطالما نصرت وإن تجعل لهم الأمر فادخر لهم بما أحدثوا في عبادك العذاب الأليم .. ثم مضى ومعه تلك العصابة فكان لا يمر بوادٍ من أودية صفين إلا تبعه من كان هناك من أصحاب النبي (ص) ثم جاء إلى هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وهو المرقال وكان صاحب راية علي بن أبي طالب. وقال عمار الي هاشم تقدم الجنةُ تحت ظلال السيوف، والموت تحت أطراف الأسل وقد فُتحت أبواب السماء وتزينت الحور العين (2).

---

(1) الطبري، تاريخ الطبري، ج٣، ص ٤٧.

(٢) عبد الحميد، خلافة علي بن أبي طالب، ج ٢، ص٢١٩ .

وقد كان ذو الكلام سمع عمرو بن العاص يقول : قال رسول الله (ص) لعمار بن ياسر : وتقتلك الفئة الباغية وآخر شربة تشربها ضياح من لبن ، فكان ذو الكلاع يقول لعمرو : ما هذا ويحك يا عمرو فيقول عمرو : إنه سيرجع إلينا . فقتل ذو الكلاع قبل عمار مع معاوية، وأصيب عمار بعده مع علي بن أبي طالب فقال عمر و لمعاوية : و ما أدري بقتل أيهما أنا أشد فرحاً بقتل عمار أو بقتل ذي الكلاع . والله لو بقي ذو الكلاع بعد قتل عمار المال بعامة أهل الشام إلى علي .. فأتى جماعة إلى معاوية كلهم يقول: أنا قتلت عماراً. فيقول عمرو: فما سمعته يقول فيخلطون فأتاه ابن حُوَي فقال : أنا قتلته فسمعته يقول له عمرو : أنت صاحبه ثم قال: رويداً والله ما ظفرت بذاك، ولقد أسخطت ربك. قيل: إن أبا الغازية قتل عماراً وعاش إلى زمن الحجاج، ودخل عليه فأكرمه الحجاج وقال له : أنت قتلت ابن سمية – يعني عماراً ؟ قال: نعم. فقال: من سره أن ينظر إلى عظيم الباع يوم القيامة فلينظر إلى هذا الذي قتل ابن سمية، ثم سأله أبو الغازية حاجته فلم يجبه إليها . فقال : توطئ لهم الدنيا ولا يعطونا منها ويزعم أني عظيم الباع يوم القيامة ؟ فقال الحجاج أجل والله من كان ضرسه مثل أحد، وفخذه مثل جبل ورقان، ومجلسه مثل المدينة والربلة إنه لعظيم الباع يوم القيامة . والله لو أن عماراً قتله أهل الأرض كلهم لدخلوا كلهم النار.

فلما قتل عمار قال علي بن أبي طالب لربيعة وهمذان: أنتم درعي ورمحي فانتدب له نحو من اثني عشر وتقدمهم عليّ على بغلة فحملوا معه حملة رجل واحد فلم يبق لأهل الشام صف إلا انتقض وقتلوا كل من انتهوا إليه حتى بلغوا معاوية وعلي يقول :ولا أرى معاوية الجاحظ العين العظيم الحاوية ثم نادى معاوية فقال: علام يقتل الناس بيننا هلم أحاكمك إلى الله فأينا قتل صاحبه استقامت له الأمور. فقال له عمرو : أنصفك فقال له معاوية : ما أنصفت إنك التعلم أنه لم يبرز إليه أحد إلا قتله. فقال له عمر : ما يحسن بك ترك مبارزته. فقال له معاوية : طمعت فيها بعدي. وكان أصحاب على بن ابي طالب قد وكلوا به رجلين يحافظانه لئلا يقاتل وكان يحمل إذا غفلا فلا يرجع حتى يخضب سيفه، وأنه حمل مرة فلم يرجع حتى انثني سيفه.

وأما هاشم بن عتبة فإنه دعا الناس عند المساء وقال : ألا من كان يريد الله والدار الآخرة فإلي . فأقبل إليه ناس كثير فحمل على أهل الشام مراراً ويصبرون له، وقاتل قتالاً شديداً وقال لأصحابه : لا يهولنكم ما ترون من صبرهم فوالله ما هو إلا حمية العرب وصبرها تحت راياتهم، وإنهم لعلى الضلال وإنكم لعلى الحق. ثم حرض أصحابه وحمل في عصابة من القُرّاء فقاتل قتالاً شديداً حتى رأوا بعض ما يسرون به.

ومر علي بن أبي طالب بكتيبة من أهل الشام فرآهم لا يزولون وهم غسان فقال : « إن هؤلاء لا يزولون إلا بطعن وضرب يفلق الهام، ويطيح العظام، تسقط منه المعاصم والأكف، وحتى يقرع جباههم بعمد ،الحديد أين أهل النصر والصبر طلاب الأجر، فأتاه عصابة من المسلمين فدعا ابنه محمداً فقال له : تقدم نحو هذه الراية مشياً رويداً على هينتك حتى إذا أشرعت في صدورهم الرماح فأمسك حتى يأتيك أمري . ففعل، وأعد لهم علي مثلهم وسيرهم إلى ابنه محمد وأمره بقتالهم فحملوا عليهم فأزالوهم عن مواقفه وأصابوا منهم رجالاً (١).

---

(١) الطبري، تاريخ الطبري، ج٣، ص٤٨

ليلة الهرير يوم الجمعة :

في هذه الليلة عادت الحرب بشدة واندفاع لم تشهدها الأيام السابقة، وكان اندفاع أهل العراق بحماس وروح عالية حتى أزالوا أهل الشام عن أماكنهم، وقاتل أمير المؤمنين علي قتالاً شديدا وبايع على الموت. فاقتتل الناس تلك الليلة كلها الى الصباح فتطاعنوا حتى تقصفت الرماح وتراموا حتى نفد النبل وأن علي بن أبي طالب صلى صلاة الخوف ليلة الهرير واقتتلو ثلاثة أيام وثلاث ليالي حتى تكسرت الرماح ونفدت السهام، ثم صرنا إلى المسايفة فاجتلدنا بها إلى نصف الليل، حتى صرنا نعانق بعضنا بعضا، ولما صارت السيوف كالمناجل تضاربنا بعمد ،الحديد، فلا تسمع إلا غمغمة وهمهمة القوم (١).

وكان علي بن أبي طالب يسير بين الميمنة والميسرة ويأمر كل كتيبة أن تقدم على التي تليها، فلم يزل يفعل ذلك حتى أصبح والمعركة كلها خلف ظهره، والأشتر في الميمنة وابن عباس في الميسرة، وعلي في القلب، والناس يقتتلون من كل جانب ـ وذلك يوم الجمعة .وأخذ الأشتر يزحف بالميمنة ويقاتل فيها وكان قد تولاها عشية الخميس وليلة الجمعة إلى ارتفاع الضحى ويقول لأصحابه : « أزحفوا قيد هذا الرمح ، وهو يزحف بهم نحو أهل الشام فإذا فعل ذلك بهم قال : « ازحفوا قيد هذا القوس ، فإذا فعلوا سألهم مثل ذلك حتى من أكثر الناس الإقدام، فلما رأى الأشتر ذلك قال: وأعيذكم بالله أن ترضعوا الغنم سائر اليوم .. ثم دعا بفرسه فركبه وترك رايته مع حيان بن هوذة النخعي وخرج يسير في الكتائب ويقول : « مَنْ يشتري نفسه ويقاتل مع الأشتر يظهر أو يلحق بالله ؟ فاجتمع إليه ناس كثير فيهم حيان بن هوذة النخعي وغيره فرجع إلى المكان الذي فيه وقال لهم : « مدُّوا شَدَّة فدا لكم خالي وعمي ترضون بها الرب، وتعزون بها الدين .. ثم نزل وضرب وجه دابته وقال لصاحب رايته : أقدم بها. وحمل على القوم، وحملوا معه، فضرب أهل الشام حتى انتهى بهم إلى عسكرهم، ثم قاتلوه عند العسكر قتالاً شديداً وقتل صاحب رايته، ولما رأى علي الظفر من ناحيته أمده بالرجال، فقال عمرو بن العاص، لوردان مولاء أتدري ما مثلي ومثلك ومثل الأشتر؟ قال: كالأشقر إن تقدم عقر وإن تأخر عُقر، لكن تأخرت لأضر بن عنقك. قال: أما والله يا أبا عبد الله لأوردتك حياض الموت. ضع يدك على عاتقي . ثم جعل يتقدم ويتقدم ويقول : لأوردتك حياض الموت واشتد القتال، فلما رأى عمرو أنّ أمر أهل العراق قد اشتد وتوجه النصر لأهل العراق خاف الهلاك و قال لمعاوية هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا إلا اجتماعاً ولا يزيدهم إلا فرقة قال: نعم، قال: نرفع المصاحف ثم نقول لما فيها هذا حكم بيننا وبينكم فإن أبى بعضهم أن يقبلها وجدت فيهم من يقول ينبغي لنا أن نقبل فتكون فرقة بينهم وإن قبلوا ما فيها رفعنا القتال عنا إلى أجل (٢).

---

(١) العسقلاني ، ابي الفضل شهاب الدين احمد بن علي ابن محمد بن حجر، (ت ٨٥٢)، تلخيص الحبير، تحقيق حسن بن عباس بن قطب، ط١، للناشر مؤسسة قرطبة، ١٤١٦،ج ٤، ص 128.

(٢) الطبري، تاريخ الطبري, ج ٥، ص ٤٤.

٢ _ نتائج معركة صفين

رفع أهل الشام المصاحف والدعوة إلى التحكيم :

لما رأى معاوية بن أبي سفيان انتصارات جيش علي بن أبي طالب على جيشه، وقد قرب منه القائد مالك الأشتر مع مجموعته، دعا عمرو بن العاص إلى خطّة للوقوف أمام هذه الانتصارات فلما رأى عمرو أن أمر أهل العراق قد اشتد وتوجه النصر إلى أهل العراق خاف الهلاك وقال لمعاوية : هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا إلا اجتماعاً ولا يزيدهم إلا فرقة قال نعم قال نرفع المصاحف ثم نقول لما فيها هذا حكم بيننا وبينكم . فقام عمرو بن العاص بخدعة حيث دعا جيش معاوية إلى رفع المصاحف على أسنة الرماح، ومعنى ذلك أن القرآن حكم بينهم، ليدعوا جيش علي إلى التوقف عن القتال ويدعون علياً إلى حكم القرآن . فرفعوا المصاحف بالرماح وقالوا هذا حكم كتاب الله عز وجل بيننا وبينكم فلما رآها الناس قالوا نجيب إلى كتاب الله .

رفض أمير المؤمنين علي التحكيم :

قال علي بن أبي طالب يا عباد الله أمضوا على حقكم وصدقكم وقتال عدوكم، فإن معاوية، وعمراً وابن أبي معيط وحبيباً، وابن أبي سرح، والضحاك ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن أنا أعرف بهم منكم قد صحبتهم ؟ أطفالاً ثم رجالاً فكانوا شَرَّ أطفال وشر رجال ويحكم والله ما رفعوها إلا خديعة ودهاء ومكيدة . فقالوا له : لا يَسَعُنَا أَنْ تُدْعَى إلى كتاب الله فنأبى أن نقبله. فقال لهم علي فإني إنما أقاتلهم ليدينوا لحكم الكتاب فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم ونسوا عهده ونبذوا كتابه . فبعث علي بن أبي طالب يزيد بن هانئ إلى الأشتر يستدعيه فقال الأشتر ليست هذه الساعة بالساعة التي ينبغي لك أن تزيلني عن موقفي إني قد رجوت أن يفتح الله لي . وارتفعت الأصوات، وارتفع الرهج من ناحية الأشتر فقالوا والله ما نراك إلا أمرته أن يقاتل. فقال علي : هل رأيتموني سارته أليس كلمته على رؤوسكم وأنتم تسمعون قالوا فابعث إليه فليأتك وإلا والله اعتزلناك. فقال له ويلك يا يزيد قُل له أقبل إلي فإنَّ الفتنة قد وقعت فأبلغه ذلك فقال الأشتر الرفع المصاحف قال نعم . قال والله لقد ظننت أنها ستوقع اختلافاً وفُرقة، إنّها مشورة ابن العاهر ألا ترى إلى الفتح ألا ترى ما يلقون ألا ترى ما صنع الله لنا لن ينبغي ان أدع هؤلاء وانصرف عنهم فقال له يزيد : أتحب أن تظفر وأمير المؤمنين يسلم إلى عدوه أو يقتل قال : لا والله . سبحانَ الله فأعلمه فأقبل إليهم الأشتر وقال : « يا أهل العراق : يا أهل الذل والوهن : أحين علوتم القوم وظنوا أنكم لهم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها وهم والله قد تركوا ما أمر الله به فيها وسنةَ مَنْ أَنزَلت عليه فأمهلوني فواقاً فإني قد أحستُ بالفتح . قالوا لا، قال : أمهلوني عَدْوَ الفَرَس فَإِنّي قد طمعت في النصر .قالوا : إذن ندخل معك في خطيئتك . قال فخبروني عنكم متى كنتم محقين؟ أحين تقاتلون وخياركم يقتتلون فأنتم الآن إذا أمسكتم عن القتال مبطلون أم أنتم الآن محقون فقتلاكم الذين لا تنكرون فضلهم وهم خير منكم في النار . قالوا دعنا منك يا أشتر قاتلناهم الله وندعُ قتالهم لله . قال : خدعتم، وانخدعتم، ودعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم . يا أصحاب الجباه السود كنا نظن صلاتكم زهادة في الدنيا وشوقاً إلى لقاء الله فلا أرى مرادكم إلا الدنيا (١).

---

(١) الطبري، تاريخ الطبري ،ج ٥، أحداث 37هـ

فسبوه وسبهم، وضربوا وجه داشه بسياطهم وضرب وجوه دوابهم بسوطه فصاح به وبهم علي فكفوا وقال الناس : قد قبلنا أن نجعل القرآن بيننا وبينهم حكماً . فجاء الأشعث بن قيس إلى علي فقال: أرى الناس قد رضوا بما دعوهم إليه من حكم القرآن فإن شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد قال آنته . فأتاه فقال معاوية لأي شيء رفعتم هذه المصاحف؟ قال : لنرجع نحن وانتم إلى ما أمر الله به في كتابه تبعثون رجلاً ترضون به وتبعث نحن رجلا نرضى به نأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله لا بعدوانه ثم نتبع ما اتفقا عليه. قال له الأشعث: هذا الحقّ فعاد إلى علي فأخبره فقال الناس : قد رضينا وقبلنا. فقال أهل الشام قد رضينا عمراً، وقال الأشعث وأولئك القوم الذين صاروا خوارج : إنا قدرضينا بأبي موسى الأشعري فقال علي : قد عصيتموني في أوّل الأمر فلا تعصوني الآن لا أرى أن أولي أبا موسى فقال الأشعث، وزيد بن حصين، ومسعر بن فدكي : لا ترضى إلا به فإنه قد حَذَرَنَا ما وقعنا فيه قال علي : فإنه ليس بثقة . قد فارقني وخلل الناس علي ثم هرب مني حتى أمهلته بعد أشهر. ولكن هذا ابن عباس اوليه ذلك. قالوا: والله لا نبالي أنت كنت أم ابن عباس. لا نريد إلا رجلا هو منك ومن معاوية سواء . قال علي : إني أجعل الأشتر. قالوا : وهل سعر الأرضَ غير الاشتر. فقال قد أبيتم إلا أبا موسى. قالوا نعم. قال فاصنعوا ما أردتم . فبعثوا إليه وقد اعتزل القتال وهو يعرض فأناه مولى له فقال إن الناس قد اصطلحوا فقال: الحمد لله قال : قد جعلوك حكماً قال: إنا لله وإنا إليه راجعون. وجاء أبو موسى حتى دخل العسكر وجاء الأشتر إلى علياً فقال: الزني بعمرو بن العاص فوالله لئن ملأت عيني منه لاقتتلنه، وجاء الأحنف بن قيس فقال يا أمير المؤمنين إنك قد رميت بحجر الأرض، وإني قد عجمت أبا موسى وحليت اشطره فوجدته كليل الشفرة، قريب القعر، وإنه لا يصلح لهؤلاء القوم إلا رجل يدنو منهم حتى يصير في أكفهم ويبعد حتى يصير بمنزلة النجم منهم فإن أبيت أن تجعلني حكماً فاجعلني ثانياً أو ثالثاً فإنه لن يعقد عقدة إلا حَلَلتها ولا يحل عُقدة اعقدها لك إلا عقدتُ أخرى أحكم منها. فأبى الناس إلا أبا موسى والرضا بالكتاب، وفعلاً جاء زهاء عشرين ألف مقاتل من جيش علي حاملين سيوفهم على عواتقهم، وقد اسودت جباههم من السجود، يتقدمهم عصابة من القراء الذين صاروا خوارج فيما بعد، فنادوه باسمه لا بإمرة المؤمنين:يا علي، أجب القوم إلى كتاب الله إذا دعيت، وإلا قتلناك كما قتلنا ابن عفان،وكان علي في هذا الموقف أمام خيارين: فإما المضي بالقتال، ومعنى ذلك أنّه سيقاتل ثلاثة أرباع جيشه وجيش أهل معاوية. وإما القبول بالتحكيم وهو أقلّ الشرّين خطراً. أن علي بن أبي طالب رفض تحكيم القرآن لما اقترحه أهل الشام وبعد ذلك قبل التحكيم وترك القتال تحت ضغط القراء الذين عرفوا بالخوارج . فتعاهدوا على ذلك، واتفقوا على ألا ينقض أحد عهده، (١)

---

(١) الطبري، تاريخ الطبري، (٦٦٣/٥)

إن وصول الطرفين إلى فكرة التحكيم و الاستجابة له اسهمت فيها عدة عوامل منها :

(أ) أنه كان آخر محاولة من المحاولات التي بذلت لإيقاف الصدام وحقن الدماء؛ سواء تلك المحاولات الجماعية أو المحاولات الفردية التي بدأت بعد موقعة الجمل ولم تفلح، أما الرسائل التي تُبودلت بين الطرفين لتقيد وجهات نظر كل منهما، فلم تجد هي الأخرى شيئًا، وكان آخر تلك المحاولات ما قام به معاوية في أيام اشتداد القتال؛ حيث كتب إلى علي له يطالبه بوقف القتال فقال: فإني أحسبك أن لو علمت وعلمنا أن الحرب تبلغ بك ما بلغت لم نجنها على أنفسنا، فإنا إن كنا قد غُلبنا على عقولنا فقد بقى منا ما ينبغي أن نندم على ما مضى ونصلح ما بقي .

(ب)تساقط القتلى وإراقة الدماء الغزيرة ومخافة الفناء، فصارت الدعوة إلى إيقاف الحرب مطلبا يرنو إليه الجميع.

(ج)الملل الذي أصاب الناس من طول القتال حتى وكأنهم على موعد لهذا الصوت الذي نادى بالهدنة والصلح، وكانت أغلبية جيش علي في اتجاه الموادعة، وكانوا يرددون: قد أكلتنا الحرب، ولا نرى البقاء إلا عن الموادعة . وهذا ينقض ذلك الرأي المتهافت الذي رُوج بأن رفع المصاحف كان خدعة من عمرو بن العاص والحق أن فكرة رفع المصاحف لم تكن جديدة، وليست من ابتكار عمرو بن العاص ؛ بل رفع المصحف في الجمل ورشق حامله كعب بن سور قاضي البصرة بسهم وقتل.

(د) الاستجابة لصوت الوحي الداعي للإصلاح، قال تعالى (فأن تنازعتم عن شيئ فروده إلى الله والرسول) ويؤيد هذا ما قاله علي بن أبي طالب حينما عُرض عليه الاحتكام إلى كتاب الله قال : نعم أنا أولى بذلك، بيننا وبينكم كتاب الله (١).

المعاملة الكريمة أثناء الحرب و المواجهة :

إن وقعة صفين كانت من أعجب الوقائع بين المسلمين كانت هذا الوقعات من الغرابة إلى حد أن القارئ لا يصدق ما يقرأ، ويقف مشدوها أمام طبيعة النفوس عند الطرفين، فكل منهم كان يقف وسط المعركة شاهرًا سيفه وهو يؤمن بقضيته إيمانا كاملا، فليست معركة مدفوعة من قبل القيادة، يدفعون الجنود إلى معركة غير مقتنعين بها ؛ بل كانت معركة فريدة في بواعثها، وفي طريقة أدائها، وفيما خلفتها من آثار ؛ فبواعثها في نفوس المشاركين تعبر عنها بعض المواقف التي وصلت إلينا في المصادر التاريخية، فهم إخوة يذهبون معا إلى مكان الماء فيستقون جميعا، ويزدحمون وهم يغرفون الماء، وما يؤذي إنسان انسان وهم إخوة يعيشون معا (٢).

---

(١) الدينوري ،ابى حنيفة احمد بن داوود بن ونند العالم المشهور اللغوي المهندس المؤرخ ،(ت٢٨٢)، الاخبار الطوال، ط١، مطبعة السعادة ، مصر، ١٣٣٠، ج ١، ص ١٨٧.

(٢) الطبري، تاريخ الطبري،(٦١٠/٥) .

معاملة الأسرى :

للأسير وإكرامه في صفين من الأمور البديهة بعد ما استعرضنا المعاملة الكريمة أثناء القتال، وقد بين الإسلام معاملة الأسرى ؛ فقد حث رسول الله (ص) على إكرام الأسير وإطعامه أفضل الأطعمة الموجودة، هذا مع غير المسلمين، فكيف إذا كان الأسير مسلما، لا شك أن إكرامه والإحسان إليه أولى ولكن الأسير في المعركة يعتبر فئة وقوة لفرقته ولذلك كان علي بن أبي طالب يأمر بحبسه، فإن بايع أخلى سبيله، وإن أبى أخذ سلاحه و دابته أو يهبهما لمن أسره ويحلفه ألا يقاتل، ومع ذلك فإن هذه الحرب المثالية هي الحرب الإنسانية الأولى في التاريخ، التي جرى فيها المتحاربان معا على مبادئ الفضائل التي يتمنى حكماء الغرب لو يُعمل بها في حروبهم، ولو في القرن الحادي والعشرين، وإن كثيرا من قواعد الحرب في الإسلام لم تكن لتعلم وتدون لولا وقوع هذه الحرب، ولله في كل أم حكمة ، قال ابن العديم قلت وهذا كله حكم أهل البغي. (١).

عدد القتلى :

قتل من الطرفين خلال المعركة سبعون ألف شهيد، فمن أصحاب معاوية بن أبي سفيان قتل خمسة وأربعون ألفاً، ومن أصحاب علي بن أبي طالب خمسة وعشرون ألفاً، وكان المقام بصفين مائة يوم وعشرة أيام، وقتل بها من الصحابة ممن كان مع علي بن أبي طالب خمسة وعشرون رجلاً منهم عمار بن ياسر أبو اليقظان المعروف بابن سمية وهو ابن ثلاث وسبعين سنة .

تفقد أمير المؤمنين علي القتلى وترحمه عليهم :

كان أمير المؤمنين علي له بعد نهاية الجولات الحربية يقوم بتفقد القتلى، فيقول شاهد عيان: رأيت عليا على بغلة النبي الشهباء ، يطوف بين القتلى، وأثناء تفقده القتلى ومعه الأشتر مر برجل مقتول وهو أحد القضاة والعباد المشهورين بالشام فقال الأشتر وفي رواية أخرى عدي بن حاتم يا أمير المؤمنين، أحابس معهم عهدي والله به مؤمن، فقال علي: فهو اليوم مؤمن. وقد وقف علي بن أبي طالب على قتلاه وقتلى معاوية فقال غفر الله لكم، للفريقين جميعا (٢).

---

(١) العواصم من القواصم، ص(١٦٨_١٦٩).

(٢) مصنف ابن أبي شبيبة، (٧٤/١١) بسند منقطع.

التحكيم :

تم الاتفاق بين الفريقين على التحكيم بعد انتهاء موقعة صفين؛ وهو أن يحكم كل واحد منهما رجلا من جهته، ثم يتفق الحكمان على ما فيه مصلحة المسلمين، فوكل معاوية عمرو بن العاص، ووكل علي بن ابي طالب أبا موسى الأشعري فأبى الناس إلا أبا موسى والرضا بالكتاب، فقال الأحنف: إن أبيتم إلا أبا موسى فادفنو ظهره بالرجال وحضر عمرو بن العاص عند عليّ ليكتب القضية بحضوره فكتبوا : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين . فقال عمرو أكتب اسمه واسم أبيه ، هو أميركم وأما أميرنا فلا فقال الأحنف: لا نفع اسم أمير المؤمنين فإني أخافُ إن محوتها أن لا ترجع إليك أبداً. لا تمحها وإن قتل الناس بعضهم بعضاً . فأبى ذلك علي مليا من النهار، ثم إنّ الأشعث بن قيس قال : امح هذا الاسم فمحاه، فقال علي : الله أكبر سنة بسنة. والله إني لكاتب رسول الله يوم الحديبية فكتبت ه محمد رسول الله ، وقالوا : لست برسول الله ولكن اكتب اسمك واسم أبيك فأمرني رسول الله فقلتُ: لا استطيع فقال: أرني . فأرييته فمحاه بيده وقال : إنك ستدعى إلى مِثْلِها فتجيب ، فقال عمرو : سبحان الله أتشبه بالكفار ونحن مؤمنون. فقال علي: يا بن النابغة ومتى لم تكن للفاسقين وليا وللمؤمنين عدوا؟ فقال عمرو : والله لا يجمع بيني وبينك مجلس بعد هذا اليوم أبداً. فقال علي : إني لأرجو أن يطهر الله مجلسي منك ومِنْ أشباهك وكتب الكتاب : و هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان قاضي على علي بن أبي طالب أهل الكوفة ومن معهم وقاضى معاوية أهل الشام ومن معهم أننا ننزل عندَ حُكم الله وكتابه وأن لا يجمع بيننا غيره وأن كتاب الله بيننا مِنْ فاتحته إلى خاتمته تُحيي ما أحيا ونميتُ ما أمات فما وجد الحكمان في كتاب الله وهما أبو موسى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص – عملا به وما لم يجداه في كتاب الله فالسنة العادلة الجامعة غير المفرّقة وأخذ الحكمان من علي ومعاوية، ومن المجندين من العهود والمواثيق أنهما آمنان على أنفسهما، وأهليهما، والأمة لهما انصار على الذي يتقاضيان عليه وعلى عبد الله بن قيس، وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما بين هذه الامة لا يردانها في حرب ولا فرقة حتى يعصيا وأجل القضاء إلى رمضان، وإن أحبا أن يؤخرا ذلك أخراه، وإن مكان قضيتهما مكان عدل بين أهل الكوفة وأهل الشام . وشهد الأشعث بن قيس، وسعيد بن قيس الهمداني، وورقاء بن سمي البجلي وعبد الله بن محل العجلي، وحجر بن عدي الكندي، وعبد الله بن الطفيل العامري، وعقبة بن زياد الحضرمي ، ويزيد بن حجية التميمي، ومالك بن كعب الهمداني. ومن اصحاب معاوية أبو الأعور السلمي وحبيب بن مسلمة، وزمل بن عمرو العذري، وحمرة بن مالك الهمداني، وعبد الرحمن بن خالد المخزومي، وسبيع بن يزيد الأنصاري وعتبة بن أبي سفيان ويزيد بن الحر العبسي (١).

---

(١) الزهري ، محمد بن سعد بن منيع ، (ت٢٣٠) ، الطبقات الكبرى، تحقيق : محمد علي عمر ، ط١، نشر مكتبة الخانجي ، القاهرة، ٢٠٠١، ج٣ ، ص ٣٠.

الا إن الأشتر لا يقر بما في الصحيفة ولا يرى إلا قتال القوم فقال علي بن أبي طالب وأنا والله ما رضيت ولا أحبت أن ترضوا فإلا ابيتم إلا أن ترضوا فقد رضيت وإذ رضيت فلا يصلح الرجوع بعد الرضا، ولا التبديل بعد الإقرار إلا أن يعصى الله ويتعدى كتابه، فقاتلوا من ترك أمر الله، وأما الذي ذكرتم من تركه أمري وما أنا عليه فليس من أولئك فلست أخاف على ذلك، بالبيت فيكم مثله اثنين، يا ليت فيكم مثله واحداً يرى من عدوي ما أرى إذاً لخفت على مؤنتكم ورجوت أن يستقيم لي بعض أودكم وقد نهيتكم فعصيتموني، وقد رأى قسم من جيش علي أن عمله هذا ذنب يوجب الكفر، فعليه أن يتوب إلى الله تعالى، وخرجوا عليه فسموا الخوارج، فأرسل علي بن ابي طالب إليهم ابن عباس ، فناظرهم وجادلهم، ثم ناظرهم علي له بنفسها فرجعت طائفة منهم وأنت طائفة أخرى، فجرت بينهم وبين علي حروب أضعفت من جيشه وأنهكت أصحابه (١).

التقاء الحكمين ابى موسى الأشعري وعمرو بن العاص :

كان التقاء الحكمين في شهر رمضان سنة (٣٧هـ) - وهما عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري بأرض البلقاء من أرض دمشق وقيل بدومة الجندل، وهي على نحو عشرة أميال من دمشق وكان من أمرهما ما قد شهر، ،وكان ممن شهد صفين مع علي من أصحاب بدر سبعة وثمانون رجلاً منهم سبعة عشر من المهاجرين وسبعون من الأنصار، وشهد معه من الأنصار ممن بايع تحت الشجرة وهي بيعة الرضوان من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله تسعمائة، وكان جميع من شهد معه من الصحابة ألفين وثمانمائة. ومن اصحاب معاوية أبو الأعور السلمي وحبيب بن مسلمة، وزمل بن عمرو العذري، وحمرة بن مالك الهمداني، وعبد الرحمن بن خالد المخزومي، وسبيع بن يزيد الأنصاري وعتبة بن أبي سفيان ويزيد بن الحر العبسي (2)

---

(١) الطبري، تاريخ الطبري، ص ١٩٦

(٢) خالد علال، د. خالد كبير علال، قضية التحكيم في موقعة صفين بين الحقائق والأباطيل ، دار البلاغ ، الجزائر، ط١، ١٤٢٣ ص ١٩.

الخاتمة

الحمد لله الذي بفضله تتم النعم وبحمده ترول التهم، خلق لنا عينين واسنا وشفتين، وهدانا النجدين، والصلاة والسلام على صاحب الطلعة البهية والإطلالة القدسية، والنفس الزكية والنفس المرضية، والروح الزكية، وعلى اله وصحبه الكرام

1_ لم يكن تأجيل الإمام علي بن ابى طالب قضية مقتل عثمان بن عفان إغفال عن القتلة ، ولكن أراد أن يعيد ترتيب البيت الداخلي أولا.

٢_ طالب معاوية بن ابي سفيان الإمام على تسليم قتلة عثمان مقابل ذلك يبايع علي بن طالب وأستنتج أن كل هذا مراوغة أقصد انه لو تم تسليم قتلة عثمان لمعاوية لقتلهم ولم يعطي البيعة أيضا للإمام علي بن أبي طالب.

٣- لو واصل الإمام علي بن أبي طالب القتال ولم يرضى التحكيم لأباد جيش معاوية وأخذ البيعة من أهل الشام بحد السيف.

٤- لم يكن ابى موسى الأشعري بالصفات التي وصفه بعض المؤرخين ، بل معظم المؤرخين تحاملوا على شخصيته وهو غير ذلك ، حيث استعملة الرسول الكريم أكثر من موقف صعبة لا يتحملها الا ذو عقل وصبر وحكمة 0

المصادر

1- أبـــن الأثير،الإمـــام العلامـــة المحـــدث المـــؤرخ عـــز الـــدين ابـــو الحســـن علـــي بـــن أبـــي الكـــرم محمـــد بـــن محمـــد بـــن عبـــد الكـــريم الجـــزري الشـــيباني ، (ت ٦٣٠)، الكامـــل فـــي التـــاريخ،تحقيق: ابوصـــهيب الكرمـــي، ط ٣، بيـــت الأفكار الدولية ، الأردن ، ١٤٠٧.

2_ ابوأســـامة ، محمـــود شـــاكر الحرســـتاني ، (ت١٤٣٦)، التـــاريخ الإسلامي ، ط ٨ ، المكتب الإسلامي، بيروت , 1421 0

3_ الـــبلاذري ، احمـــد بـــن يحـــى بـــن جـــابر بـــن داوود البغـــدادي (ت ٢٧٩)، انســـاب الإشـــراف، تحقيـــق : ســـهيل زكـــار ،ط ١، دار النشـــرات الإسلامية ، بيروت ، 1417.

4- الـــدينوري ،ابـــى حنيفـــة احمـــد بـــن داوود بـــن وننـــد العـــالم المشـــهور اللغـــوي المهنـــدس المـــؤرخ ،(ت٢٨٢)، الاخبـــار الطـــوال، ط١، مطبعـــة السعادة ، مصر، ١٣٣٠

5_ الـــذهبي ،الإمـــام شـــمس الـــدين محمـــد بـــن أحمـــد بـــن عثمـــان الـــذهبي، (ت ٧٤٨)، تـــاريخ الإســـلام ووفيـــات المشـــاهير والاعـــلام، تحقيـــق: الـــدكتور بشار عواد معروف، ط١، دار الجبل، بيروت، (1992).

6_ الزهـــري ، محمـــد بـــن ســـعد بـــن منيـــع ، (ت٢٣٠) ، الطبقـــات الكبـــرى، تحقيـــق : محمـــد علـــي عمـــر , ط1 , نشـــر مكتبـــة الخـــانجي , القـــاهرة , 0 2001

7- ابـــن ابـــي شـــيبة ، الإمـــام ابـــي بكـــر عبـــدالله بـــن محمـــد الكـــوفي ، المصـــنف لابـــن ابـــي شـــيبة، تحقيـــق ناصـــر بـــن عبـــد العزيـــز ابـــو حبيـــب المشـــتري، ط١ ، دار كنوز إشبيليا، ١٤٣٦.

8_ الطبري، الإمام الفقيه المفسر المؤرخ ابوجعفر محمد بن جرير الطبري، (ت 310) ، تاريخ الأمم والملوك تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط ٢، الناشر : دار المعارف، مصر، ١٣٨٧.

9- العسقلاني ، ابي الفضل شهاب الدين احمد بن علي ابن محمد بن حجر، (ت ٨٥٢)، تلخيص الحبير، تحقيق حسن بن عباس بن قطب، ط١، للناشر مؤسسة قرطبة ، ١٤١٦

10- العصفري، أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي الملقب بشباب ، (ت ٢٤٠)، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : الدكتور أكرم ضياء العمري ، ط٢ ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٣٩٧.
عمر ، ط١، نشر مكتبة الخانجي ، القاهرة، ٢٠٠١.

11_ الغضبان، الدكتور منير محمد، معاوية بن أبي سفيان، ط٣، دار القلم _ دمشق ،١٤١٧.

12- الفقهي، عبد الحميد علي ناصر، خلافة علي بن أبي طالب ، تحقيق :دراسة نقدية للروايات من خلال كتب السنة والتاريخ ، ط١، النشر مكتبة الرشد ، ٢٠٠٦.

13- ابن كثير، الإمام الحافظ المفسر المحدث الفقيه المؤرخ عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الشافعي،البداية والنهاية، تحقيق :عبدالله بن عبد المحسن التركي ، ط٣، دار المعارف، بيروت، ١٤١٣.

14_ المالكي ، محمد بن عبد الله بن العربي الأندلسي الإشبيلي المالكي ،(ت ٥٤٣)، العواصم من القواصم ، تحقيق :الشيخ محب الدين الخطيب ، ط١ ، للناشر مكتبة السنة لصاحبها شرف الدين محمد عبد الفتاح حجازي، القاهرة، ، ١٤١٢.

15_ المنقري، ابو الفضل نصر بن مزاحم بن سيار ، (ت ٢١٢)، وقعة صفين ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون،ط٣، دار النشر المؤسسة العربية الحديثة ، ١٣٨٢.

16_ ياقوت الحموي ، الشيخ الإمام شهاب الدين ابي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي،(ت ١٢٢٩)، معجم البلدان، ط١، دار صادر بيروت ، (1397_١٩٧٧م).

17_ اليعقوبي،احمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب الإخباري، (ت٨٩٧)، تاريخ اليعقوبي، تحقيق عبد الأمير مهنا، ط١، دار النشر شركة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٤٣١.